بناء العـــــش

فى مملكة الحيوان

بقلم الاستاذ محمد محمد السيد
مدرس العلوم بالمدارس الأميرية

العش هو المكان الذى تبيض فيه الأنثى وتربى فيه صغارها، وتختار موقعه دائماً فى أبعد الجهات عن الأخطار، حتى تضمن الأم لصغارها السلامة على قدر الامكان.

فى الحيوانات الرخوة (المحار والقواقع) تلقى الأنثى بيضها فى الماء بدون تفكير فى مصيره، وبدون أن تهيء مكاناً ملائماً لاستقبال هذا البيض؛ ولذلك فاحتمال إنتاج هذا البيض قليل جداً، وكله يذهب تقريباً طعاما للحيوانات البحرية. ومن هنا كان عدد البيض كثيراً لصالح النوع.

أما الأسماك فتضع بيضها عادة فى قاع الأنهار والبحار بين الصخور وبعضها؛ فالسمك المعروف بـ (حوت سليمان) يحفر فى قاع المجرى حفرة ليضع البيض فيها، حتى يصير بمأمن من التيارات المائية ومن الأعداء. وبعض الأسماك كالزمير يصنع الذكر منه عشا جميلا من النباتات البحرية الملتصقة المفسوجة ببعضها؛ ويقود الأنثى إليه، فاذا ترددت دفعها تارة بفمه وتارة يجذبها من الذيل حتى تدخل العش وتبيض، فيلقح الذكر البيض بصب السائل المنوى عليه، وهو يكرر فى الأيام التالية نفس العملية مع أناث أخر يقودهن للعش أيضا حتى يحصل على عدد كبير من البيض من إناث متعددات، ثم يحرس البيض بيقظة وحماسة شديدتين؛ ويقاتل لأجله إن لزم الأمر.

والضفادع عامة تبيض على الحشائش البحرية، والماء ضرورى أثناء وضع البيض، ويوجد نوع من الضفادع (ضفدعة جزائر الملك سليمان) يجمع الذكر والأنثى بعض أوراق النباتات البحرية وتطبق على شكل كأس أو وعاء لاستقبال البيض الذى يوضع فيه ثم يترك فى مكان هادىء فى الماء حتى يفقس.

فى الطيور نجد غريزة بناء العش بلغت شأواً كبيراً من الرقى، والعش هنا يختلف باختلاف الظروف والوسط. فاذا كان الطير آمناً على صغاره وبيضه شر الأعداء صار العش بسيطا كما فى الطاووس، إذ يضع بيضه على الأرض، وكما تفعل بعض الطيور البحرية؛ فهى - لشدة اطمئنانها على بيضها - قلما تبيض أكثر من بيضة واحدة تضعها على حشائش فوق الماء آمنة عليها شر أى عدو أرضى.

أما الطيور التى تتعرض صغارها لأخطار كثيرة فتتفنن فى إخفاء عشها وإبعاده عن متناول الحيوانات المفترسة ؛ فبعض الأنواع الصغيرة تبنى عشها شبيها بالفرع يتدلى من فرع رفيع جداً فى أعلى شجرة ؛ حتى إن أجرأ القطط لا تمكنها الجازفة والسير على هذا الفرع ، وهو من جهة أخرى بعيد عن الأرض ، فلا يمكن لأى حيوان مهما كان بارعا فى القفز أن يصل إليه ، وقد شوهد أن فم العش يبنى أضيق من المعتاد فى الجهات التى تكثر فيها الطيور الكاسرة .

ومهمة بناء العش يقوم بها الزوجان ـ الذكر والأنثى ـ ولكن قد ينفرد بها الذكر أحيانا كما فى القنوط (طير) ، فالذكر يبنى العش قبل الفوز بالأنثى ، ثم يتنافس مع غيره من الذكور ، فاذا انهزم أمام غريمه ضاع تعبه سدى ، وصار العش الذى بناه مأوى لغيره من الغرماء المنافسين .

وفى الحشرات كما فى الطيور نجد أنواعا متباينة من المساكن ، والقاعدة العامة أن تتخير الأنثى دائما الأماكن التى تأنس فيها الأمن لصغارها عند الفقس والغذاء الوافر لهم ، فنرى مثلا أنواعا مختلفة من أبى دقيق تبيض على جذور النباتات ، أو على السطوح السفلى للأوراق ، وبعض الحشرات ـ لزيادة الحيطة والحذر ـ تبنى عشوشا خاصة لاستقبال البيض وحمايته وضمان حماية الصغار كما تفعل الزنابير المختلفة والنحل والنمل وغيرها .

وتختلف عشوش أنواع الزنابير المختلفة ، فبعضها تبنى عشها على شكل خلية ، ولكن من الورق الذى تصنعه من ألياف الأشجار الممضوغة ، وتضع بيضها فيه ، وبعضها تعيش فى تجاويف الأشجار أو تحفر فى جدران المنازل لتبيض ، وهناك أنواع كثيرة تبنى عشها من الطين .

كذلك تختلف عشوش النحل ، فبعض الأنواع تبنى عشها من الرمل الممضوغ ، مكونة خلايا كاملة بين الصخور وفى الشقوق ، والبعض تثقب الأشجار ثقوبا على شكل الخلايا لتضع فى كل منها بيضها .

والنحل العادى يبنى عشه من الشمع الذى تفرزه أفراده الشغالة ، وهو يكون منه أشكالا هندسية منتظمة سداسية الجوانب ، تضع الملكة فى كل خلية منها بيضة واحدة .

أما النمل فيحفر عشه فى الرمل أو التراب ، ويمكن مراقبة هذه العملية فى الجهات الخلوية حيث نجد أفراده الشغالين منهمكين فى إزالة الأتربة من العش بكل نشاط ونظام .

والنمل الأبيض أو الأرضة (وهى حشرة اجتماعية تعيش فى أواسط أفريقيا) تعطينا فكرة عن مبلغ رقى بعض الحشرات فى فن للعمار والهندسة ، فاذا قطعنا مقطعا فى عش من مساكن هذه الحشرة (والعش عادة يبنى من الرمل الممضوغ ويفوق فى صلابته وتماسكه أجود أنواع الأسمنت) نجد أنه مكون من أربع طبقات : الطابق العلوى خال وجيد التهوية ، ويليه الطابق الثالث وهو مخصص للعناية بالبيض وفقسه على رفوف مهيأة لهذا الغرض ، ثم الطابق الثانى وهو عبارة عن بهو واسع محمل على أعمدة كثيرة ، والطابق الأسفل يحتوى على الغرفة الملكية

التى تعيش فيها الملكة وزوجها سجينين ، وحول هذه الغرفة توجد عدة غرف للشغالة ، وعدة غرف أخرى مملوءة بالطعام المخزون .

وفى جدران العش توجد ممرات حلزونية للانتقال خلالها ، وفى أسفل العش توجد تجاويف منها أخذ الرمل اللازم لبناء العش ، ويبلغ ارتفاع العش كله نحو الأربعة أمتار .

لم نذكر شيئا عن المساكن التى تتخذها الحيوانات الأرقى لاقامتها ، ففى الحيوانات الثديية نجد الفئران البرية تنسج مسكنها من الحشائش وسنابل الحبوب ، والكلاب البرية تتخذ مساكنها فى حفر تحفرها فى الأرض ، وبعض أنواع القردة تبنى لها عشا من جذوع الأشجار .

ويمكن تقسيم العشوش التى تبنيها مختلف الحيوانات إلى أقسام ثلاثة :

١ — المحفورة فى الشجر أو الخشب أو الأرض ، وهى تقابل الكهوف التى كان يعيش فيها الانسان فى العصور الأولى .

٢ — المنسوجة من مواد خفيفة ، وهذه تقابل المساكن التى يقطنها بعض الهنود ، وهى منسوجة من القش ، وبيوت الشعر التى يسكنها العرب .

٣ — المبنية من الطين وما يشبهه من المواد ، وهى تقابل المبانى التى يتخذها الانسان المتمدين لسكنه .

محمد محمد السيد

المستشرقون بين الأدبين

[بقية المنشور على الصفحة رقم ٤٨٤]

وسر دراسته لها : أنه من رجال المذهب البروتستانتى ، والذين يفرض عليهم دراسة التوراة بلغتها العبرية ، وقد وجد أنه يلزم لدراسة اللغة العبرية ، دراسته للنحو والآداب العربية ، وهو فى ذلك تلميذ للأستاذين : مارتى وفيشر ، وعمله اليوم محصور فى تعريف الأمم الاوربية عامة — والألمانية خاصة — بالأدب العربى الحديث . وهو يريد التوسع فى مشروعه هذا فيجعله دراسة عامة للنهضة الحديثة وأبطالها ، واختار أعلام المدرسة الحديثة ليضع لكل منهم دراسة وافية خاصة ، ومن أجل هذا نشر أول كتاب له تحت عنوان « سلسلة دراسات عربية عصرية — محمود تيمور » ، والثانى عن الأمير شكيب أرسلان وأثره فى النهضة الأدبية الحديثة .

وقد بدأ بالأستاذ تيمور ، نظراً لما له من الفضل الجم على القصة المصرية ، وما أحدثه أسلوبه فيها من إعجاب القراء ، وقد حوى الكتاب — الذى نحن بصدده — ترجمة مقدمة الشيخ سيد العبيط ، وهى المقدمة البليغة التى وضعها الأستاذ تيمور عن نشوء الأقصوصة وتطورها فى عالم الأدب عامة ، وعن البلاغة القصصية فى الأدب العربى خاصة ، ثم اختار بضع قصص : أمثال « صابحة ، وأبو عرب ، وأم زيان ، ومهزلة الموت ، والشحاذ ، واليتيمة » ، وترجمها إلى الألمانية ليوقف القراء على صورة صحيحة للقصة المصرية فى دورها الحالى ، وفى هذا — بلا شك — دعاية طيبة لنا يحق لنا مقابلها بالانتاج المثمر والجهود الموفقة . فالعمل الذى يقوم به المستشرقون اليوم ، كان لزاماً علينا أن نقوم به ونتولاه بالعناية والاهتمام .

محمد أمين حسونة